

عشرون ألف كلمة عربية في اللغة البرتغالية

روي كوياس: الجمال لا يقل أهمية عن الحقيقة والعدالة والخير



هناك دائما أفق للمشاشة البشرية (غرافيكس «الجديد»)

فانا متشائم قليلا، تتشائم إنساني يجب علينا الإدراك من خلاله أن هناك دائما أفقا للمشاشة البشرية في كل ما نقوم به. هذه فكرة ملحة للغاية إبان القرن العشرين.

ما هو التقدم؟ هل التقدم جيد؟ ما هي الحقيقة؟ الحقيقة ليست مفهوما رياضيا وليست الحقيقة المباشرة، فدائما ما توجد منطقة ظل تتسم بالغموض. علاقة مباشرة مع العالم، من خلال شبكات التواصل الاجتماعي (Facebook) على سبيل المثال. نحن نعيش في زمن التنميط، زمن الشفافية المطلقة، لكن هذا التنميط يخفي الجوانب الأساسية للإنسانية، تلك المتعلقة بالغموض، باللغز والرمز. إن مشروع الشفافية التامة المفروض عبر وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي مناهض للثقافة، وذلك بسبب رفضه لكافة رموز فكرة الفن والجمال.

هذه هي الغرضية العظيمة للشعر والغن اليوم، ألا وهي مواجهة هذا الوضع، ولكي نذكر أن هناك المزيد من الأشياء ينبغي علينا تغيير ضميرنا والإيمان بالبهاء ومصير الجنس البشري.

لذا يتوجب علينا مواصلة الكتابة والترجمة والنشر ومع بذل جهد كبير، فالترجمة مهمة جدا وتعد غاية جوهرية، فدونها لا يحدث أي اتصال بين الشعوب ولا يتناقل المعنى، ومن هنا تتزايد أهمية المترجمين اليوم.

يقدم لنا الفن الموضوعات العظيمة لتاريخ البشرية، فيعطينا مفهوم الأسلاف للوقت والتاريخ والماضي، وفي هذا السياق يعتبر الشعر، الرسم، الموسيقى، الفلسفة، بمثابة أساسيات، فهي الفكرة لا أعرف ما إذا كنت قد أجبت على سؤالك.

الجديد: لا بد أن أسأل أيضا في هذا السياق عن خروج الشعر من بيته ونزوحه نحو الآخر (الآخرين)، أي الثقافات الأخرى: يضيف له أشياء، ويخسر أشياء أخرى. بتأمل لعملية "الارتحال" هذه، ما الذي يشكل خطرا عليه بتحوله إلى السنة أخرى؟

روي كوياس: إن عمل الترجمة أساسي، وقد ذكرت ذلك أعلاه بعض الشيء. يمكن للترجمة أن توضح لنا ما هي إمكانيات الشعر في العالم المعاصر، وما هي الحاجة إلى الشعر في هذا العالم، ويمكننا، على سبيل المثال، اكتشاف مكانة بلد ما وصوته، ويمكننا الاقتراب من الفكرة. ليست الترجمة إمكانية اكتشاف المعنى اللغوي فقط، بل هي أيضا اكتشاف البيئة والمراجع الثقافية المؤلف وكاتب وبلد، فهي تمنحنا هذه الإمكانيات لنقل قارة إلى قارة أخرى، وتشكيل صوت واحد وهو الصوت البشري.

الترجمة مهمة للمؤلفين والمترجمين والقراء أكثر منها للناسرين والنقاد، لنفس الأسباب التي تجعل الأدب مهما أيضا، لأنها مهمة لإحساسنا بانفسنا كبشر.

في هذه القصائد تنعكس التجربة الإنجليزية والألمانية للحرب أكثر من التجربة البرتغالية، فقد كتب العديد من الجنود مذكرات ودفاتر حربية كما هو معروف، كما كتب البرتغاليون كذلك، وقد كان هناك العديد من البرتغاليين على الجبهة الغربية في الحرب الأولى من الكتاب والرسامين.

أولئك الفنانون تركوا أعمالا مكتوبة ولوحات، وهذه الأعمال جزء من ذلك الزمن وكان لها تأثيرها في ذلك الوقت، إذ أثرت الحرب العالمية على الفن في جميع أنحاء أوروبا، كما أثر هذا المقياس أيضا على الأدب البرتغالي وتميزه من خلال مرويات الحداثة في البرتغال وعبر أوروبا.

تميزت الحداثة البرتغالية، كما هو الحال في البرازيل، بنهجها في الحركات الطليعية خلال ذلك الوقت، متجاوزة المعايير الجمالية القديمة من خلال لغة أدبية مبتكرة، وكان المخالان الرئيسيان لها هما فرناندو بيسوا وماريو دي سا كارنيرو، مؤسس مجلة Orpheu التي نشرت إلى نشر المثل العليا الحداثي.

بدأنا ننظر إلى العالم كواقع في الاختفاء الدائم، كما لو أننا وسط انقراض أوهامنا، وننظر إلى عالم يمكن التشكيك فيه باستمرار.

الكتابة ومشاشة العالم

الجديد: هل ثمة فائدة اليوم كتابة الشعر؟ ترجمته؟ نشره؟ أو: ماذا يغيره الشعر في وعينا اليوم، علما أن هذه "الثا" البشرية ليست واحدة موحدة؟

روي كوياس: سؤال مثير للاهتمام بلا شك، أعتقد أن الإجابة موجودة في سؤالك أستاذ بهاء. علينا التصديق بأن الكلمات والكتوب واللحظات والموسيقى بإمكانها تغيير حياة كل واحد منا وجميع الشعوب، فهي توفق بيننا وحياتنا والطبيعة البشرية. إن حسب الأدب والثقافة هو أفضل حل بإمكاننا تقديمه للعالم من أجل الإيمان بالمستقبل، فالجمال لا يقل أهمية عن الحقيقة والعدالة والخير لأنه يمنحنا المصالحة مع العالم، يؤكد أفراندا، يغير حياتنا، ويمنحنا سببا لفهم وقبول رثائنا وعبويتنا.

هذا هو التراث العظيم للشعر والفن والثقافة، وذلك من خلال التأثير على حياتنا، من خلال الجمال أو حتى من خلال توكيد المساة (والتي تحمل جانبا جماليا في بعض الأحيان)، والفن يجعلنا نفهم العالم جيراننا بشكل أفضل. كلنا واحد ونفس النوع، والجنس البشري الجميل. جميعنا نعيش، كبشرية، أوقاتا خطيرة، أوقاتا تغيير. لا أعرف في أي طريق نسير أو ما إذا كنا نسير بالفعل على أفضل وجه،

السحري، نلتقط الإنسان، الوحش، العناصر وفقا لمواجهة لا هوادة فيها، رقيقة وعينية في أن معنا.

لملح أوروبي

الجديد: صدرت مجموعتك "أوروبا" عام 2016 بعد مئة عام من دخول البرتغال للحرب العالمية الأولى، ولم تغب بعض نصوص المجموعة عن استعادة الحرب. كيف يجري استنكار البرتغال في الحرب من خلال الأدب البرتغالي؟

روي كوياس: مجموعة "أوروبا" هي انعكاس لمفهوم أوروبا الذي يحاول تكوين صورة للمشاهدات الطبيعية الحالية أو الماضية في الأجزاء والأماكن التي يمكن التعرف عليها أحيانا، على الرغم من أنها، في بعض الأحيان، قد تكون نتيجة مزيج من أوقات مختلفة. في الكتاب فصل تحت عنوان "مموع الحرب العنيفة"، وهو مجموعة من القصائد التي تعد وجهة نظر سياقية حيال معركة السوم عام 1916، كما لو كانت في مكان أو في عدة أماكن مترابطة في ما بينها، وكما لو أن الكائنات أجزاء أقامت خلال زمن يحوي على بوادر انقراضها، كلها مقسمة على موجات متناسقة ومتباعدة، سواء أكانت أجزاء من الجغرافيا، من التاريخ، من العمل البشري، من الماضي الفردي والمشارك أم من ماضي التقوى.

في الأساس، لو أردنا الحرب كفعل ميتافيزيقي، كاتمال في غاية ما، حيث يقترب الصمت وتبسط الأرض هذا الصمت في المسافة، فجأة تذكرت استخدام موضوع الحرب، أحد أعظم مواضيع الإنسانية، للحديث عن أشياء أخرى، وائما ثمة حزن أكثر من الربع. في الحقيقة أفكر دائما في التاريخ والذاكرة والتصوير الطبيعية والوقت والحب.

من خلال هذا المعنى، فإن الحرب التي تدعو إلى تأمل فلسفي تقدم رسما خرائطيا حقيقيا لكل من القارة الأوروبية وأسس الصوت البشري الهش من خلال القصائد والمذكرات التي كتبها فلاسفة وشعراء قاتلوا خلالها، وذلك في أكثر أوقاته تنوعا وأكثر مساحتنا الثقافية في طور الاختفاء.

الجديد: في شعرك ملامح دينية صوفية لامعة، واستغاضة في وضع الفروق بين الحياة الدنيوية والغييبات. وبين السخيف والعميق، يقع صوت الشاعر ويمارس الحفر فيها كاشفا عن مكان القوة والضعف فيها. كيف يساهم الصوفي العميق في تعزيز تجربتك الشعرية؟

روي كوياس: أجل، السعادة الصغيرة والمتواضعة دائما في متناول أيدينا، وكذلك نجد الجمال الذي يسمو فوقنا، والذي يمكن التماثل به مع الله. ما يبحث عنه شعري باستمرار هو الجمال، وما يلتقطه عملي هو الملموس والأشكال التي تعتبر هي أيضا مؤقتة وعابرة، مستكشفنا التوازن بين ما هو مبني وفوضوي، حيث تتواجد الموضوعات العظيمة للموت والجمال والذاكرة والمعرفة وتتشابك في مسار واحد استثنائي.

هذا هو التأمل، وهذه هي الفلسفة والميتافيزيقا التي تقربنا من عالم متسام يمكن أن يكون عالم الله. ثمة بعد للتفكير فيما كتبه وكان الأماكن التي نمر بها، والمشاهدات الطبيعية، والقصص التي تحدث في حياتنا هي الطريق إلى الفكر، الطريق إلى جوهر الأمور حيث يأتي كل شيء.

في هذه الأوقات الغربية التي نعيشها اليوم في عالم العولمة الخبيث، من واجبا أن نعود مرة أخرى إلى البعد الفكري والبعد الديني. دائما ثمة هشاشة في كل شيء، ففي هذا العالم المتسامي غير الملموس - على الرغم من العولمة والحاجة إلى السرعة وما إلى ذلك - نجد الإبداع الفني باعتباره انعكاسا للنشاط الفكري. هنا تظهر الحياة التي تعرفنا والصورة التي تكمن خلف صورة أخرى في طبقات، وتظهر كل صورة على مستوى، مرتبطة بما يسبقها ويتبعها، إذا كان هذا التحول قد حدد مشاركة الجنس البشري مع العالم. هذه أيضا تجربة داخلية، فكرة، رؤية شبه صوفية بمعنى الفلسفة والشعر الصوفي، نقاء.

استحضرت الآن ما كتبه الشاعر والفيلسوف الفرنسي فيليب تانسلين عن ترجمة كتابي "ترتيب العالم" المنشورة في فرنسا عن دار لارماتان "من النظرة المحاصرة في ذاكرة الأصل هذه، والتي تطرح ترتيب الأشياء في تعقيدها

لا يمكن للتاريخ أن يغفل قيمة الفترة الزمنية التي كانت فيها شبه الجزيرة الإيبيرية تحت الحكم العربي الأندلسي، وذلك من النواحي الفكرية والعلمية والثقافية والمعمارية، ولعل الأدب كان له نصيبه أيضا في عملية التأثير والتأثر والتفاعل بين مختلف المكونات داخل شبه الجزيرة تلك، بشقيها الإسباني والبرتغالي، فثمانية قرون متعاقبة من الحكم العربي في تلك البلاد لا بد لأدبها أن يأخذ شبيها من خصائص نظيره العربي وسميماها كما نجدها عند الشاعر البرتغالي روي كوياس. هنا حوار مع الشاعر عن تجربته وقضايا أخرى.



بهاء إيعالي
شاعر ومترجم لبناني

أحب كتابة المقال الأدبي، وكل شيء مرتبط بالغموض.

الجديد: ارتبط الشاعر القديم بالمعجم الجغرافي لبيته ولأرضه عموما حتى تماهى معها، وأنت تختار عناوين مجموعاتك الشعرية بناء على اصطلاحات جغرافية بحثت ما الذي يجعل الشعر مرتبطا في ماهيته بجغرافيات الأمكنة والأشياء، وما الذي يضيفه العالم الجغرافي للشعر والشعرية ولا يضيفه غيره لها؟

روي كوياس: سؤال مثير للاهتمام ومميز للغاية، تبدو الإجابة عنه سهلة للغاية، لكنها قد تكون أيضا صعبة للغاية. منذ أولي كتيبي ارتبطت عملي ارتباطا وثيقا وشكلت نوعا من التناسج، كما لو كانت جميع نصوصها متصلة بشكل لا شعوري مشكلة مشروعا واحدا، نضا واحدا، وطريقة واحدة لفهم العالم. هذه الأعمال تشير إلى ذلك الاهتمام بالمناظر الطبيعية، ليس كشيء ينبغي وصفه بعناية، بل كشيء يجب اكتشافه، ونشوره به وتجربته.

يقول المؤلف في القصائد دور عالم جغرافي من نوع ما في رحلته، تنزهاته، في أسفاره من الوديان إلى الجبال، الكثبان، الصحاري، ومن الغابات إلى الجزر المفقودة أو "المدن المدمرة"، يلاحظ ويبلور في هذه المشاهد الطبيعية أسطرا وأفكارا تتبع ترتيبا في الذاكرة.

وهكذا تصبح جميع الأماكن والفصاحات والخرايط غير المكتشفة جسما حيا للذاكرة، وكذلك الإمكانية الوحيدة، بالنسبة للإنسان، للحفاظ على ذكرياتنا ونقل تلك الذكريات التي ليست لنا. تذكرنا المباني والمدن والحقول والحدائق أيضا بآداء الذاكرة والماضي وحياتنا، والتي ليست زمانية فحسب بل، ربما بشكل أكثر أهمية، مكانية أيضا، وديناميا ما كان وينفرد جورج سيبالد يكتب عن هذا في كتيبه ومقالاته.

هذه وجهة نظر تأملية، طريقة فلسفية لحاولة فهم الزمن، ماضيها وحاضرنا وتاريخنا البشري، وأبحث داخل شبكة من النماذج التي يتم من خلالها تعليق الأماكن في حالة من المد والجزر.

يحمل الفكر الأوروبي هذا الظل من مسار المشاة، حيث أن الأفكار والأنظمة العظيمة التي ابتكرها وطورها علماء ما وفلاسفته وكتابه هي نتيجة، في الكثير من الحالات، لسفر جغرافي وروحي، ونتيجة لذلك عبر مفرد طرق العقلية والمشاعر المشتركة في كل أزميتها وامكنتها.

في الكثير من الأحيان ينظر إلى أن القيام برحلة الصبح، بالسفر أو حتى بالترحال، كعمل من أعمال اتباع الطريق من الصعب رؤية عملية بسيطة، يومية وضرورية كالسفر أو كداء الحج، ما لم يتم ذلك بطريقة رمزية أو مجازية. ومع ذلك فإن القيام بسفر يتطلب أكثر من ذلك، وهو أن يحرك المسافر قديمه وروحه، أي أن تتضمن رحلته الجسدية في ذات الوقت رحلة موازية ذات طبيعة روحانية، ففي رحلة الحج يكون الإطار الذهني الذي يدفع الإنسان إلى الأمام نحو هدف محدد أكثر أهمية من فعل السير الجسدي في الطريق إلى نهايته.

لغاية اليوم لا زال الأدب العربي، بقديمه وجديده، من الأشياء التي تجري العناية بها هناك، وما "المعهد البرتغالي العربي للتعاون" إلا ثمرة لجهود متراكمة في بلاد البصارة لإعادة الواصل بين تراثهم القديم، الذي يعتبر التراث العربي الأندلسي جزءا منه، وحدافتهم الراهنة التي هي أيضا تجد في الشعر العربي توأما لها، وشبيها من استمرارية تراثها التقليدي القديم.

ولعل الشاعر البرتغالي روي كوياس (1966) أحد الأصوات الحداثية التي تجد في الثقافة والأدب العربيين جزءا لا يجزأ من الأدب البرتغالي الراهن، فصاحب "ترتيب العالم" لا يكف عن استحضار الجغرافيا وشعرية المكان في نصه الشعري (وهو ما يمكن اعتباره شبيها من استعراش الشعر في البرتغال)، وبالتالي يمكن اعتباره من أكثر الشعراء الذين يدرسون مدى اتساع نطاق الأثر العربي في الحضارة البرتغالية عموما والأدب خصوصا.

الصوفي والشعري

الجديد: بعد ثلاث مجموعات شعرية وهي "مهنة الجغرافي" و"ترتيب العالم" و"أوروبا"، نجد أنك توقفت عن إصدار عمل شعري لك منذ أكثر من خمس سنوات. هل تصح تسمية هذا التوقف نوعا من الصمت الشعري الذي يلوذ به الشعراء خلال فترات متقاربة من حياتهم؟ وإن كان صمتا، فكيف تحدد علاقته، شعريا، معه؟

روي كوياس: عقب كتابي الأخير "أوروبا" كانت هناك فترة من الصمت بالفعل، صمت اعتقدت أنه موجود دائما. تعد مسألة تأليف عمل أدبي مهمة شاقة، وأحيانا مرهقة عقليا وحتى جسديا، لذلك علينا أن نترك الكتاب يتنفس، وقبل كل شيء أن ندع مشروع الكتاب ذلك فلا لنفسنا، أو شمسنا تتشقق في صمت.

ما يبحث عنه الشاعر باستمرار هو الجمال إذ يلتقط الملموس والأشكال التي تعتبر هي أيضا مؤقتة وعابرة

يعتبر الارتباط بالصمت أمرا جوهريا، حتى صمت عدم الكتابة يعتبر ضربا من ضروب الكتابة. من ناحية أخرى فإن عمل الكتابة - القصيدة هو في الأساس قطعة صمت في حالة نقيية، في جزء ضئيل من الوقت.

في الوقت الحالي أكتب كتابي التالي وأعمل على إكماله، فبعد "أوروبا" حصلت على منحة من الحكومة البرتغالية للعمل على كتابي الجديد، وذلك كمندحة للإبداع الأدبي من معهد الكتب والمكتبات التابع لوزارة الثقافة، وكان من المفروض

أن ينشر فعلا، ولكن مع تداعيات الوباء، كذلك أمام الواجبات الأسرية تجاه أطفالتي الصغار، ومع كل ما حدث بشكل غير متوقع، فقد تأخرت كل شيء للأسف، لكنني لا زلت متفانلا بنشره هذا العام. على أي حال، نشرت مؤخرا نصوصا متفرقة، في شكل مختارات، داخل البرتغال وخارجها (صربيا، روسيا، إسبانيا، بنغلاديش، الهند، تلك التي أنكرها حاليا)، كما أنني أكتب المقالات بحيث

